

اقتفاء تراثنا الشعبي في كتب الرحالة الغربيين

الرحالة الإنجليزية أن بلنت تتحول إلى خاطبة في الجوف (٤-٣)

أبدا وإذا صرحت فتاة إنها لن تتزوج خطيبها فهي ليست مخطوبة وقصارى القول إننا لحنا على انه إما مطره أو لا أحد فسحب غازي طلب عسرا وبع ذلك فقد الشمس عذرا بأن مطره لم تكن سوى طفلة لم تكذب تبلغ الخامسة عشرة وغير مهياة جدا لمثل تلك الرحلة الكبيرة جدا حتى تدمر . حقا ، أين هي تدمر ؟.. من من الجوفيين قد ذهب الى مثل هذا البعد ..

وعلى أي حال فقد أصاب محمد بأنه اذا كان صغر السن عقبة فسنة أو سنتان ستتكل بإصلاح ذلك . كان راضيا بالانتظار سنة أو سنتين أو حتى ثلاث سنوات اذا دعت الحاجة . لقد كان أبنا لعروج ، وقد تعود على الصبر أما بالنسبة لتدمر ، فهي بعيدة ، ولكن ألم نأت من هناك

حالا ؟.. أو لا نستطيع العودة إلى هناك ؟.. أنه سوف يرسل واحدا من أخوته في الوقت المناسب مع عشرين ، ثلاثين ، خمسين رجلا لمرافقتها . ووفق على مشروع الزواج في النهاية فيما يتعلق بمطره ولكن مسألة التسويات لم تنته منها بالسهولة نفسها وكان الأمر هنا يوشك أن يتحطم كليا والى الأبد . كان (ولفرد) قد نوى أن يدفع المهر عن محمد ولكنه لن يقول ذلك حتى يستقر الأمر ، وترك محمد يكافح في مسألة الصداق حتى يتوصلوا إلى أفضل صفقة مستطاعه .

وهذا ما كان محمد جد قادر على القيام به بالرغم من عدم ثبات قلبه وبتقوية عبد الله له أمكن الاتفاق على مبلغ وسط وانفض المؤتمر (يتبع)
* رحلة الى بلاد نجد



■ في العام ١٨٧٩م كانت الرحالة الانجليزية اللدي أن بلنت قد توقفت ب سكاكا الجوف للبحث عن زوجة لدليلة الرحلة محمد وكانت قد توجهت ضمن وفد صغير لأحد البيوت هناك لتختار له العروس المناسبة إلا أن بعض المشاكل قد اعترضت طريقهم كادت أن تفشل مشروع الزواج لولا ذكاء وحكمة الرحالة وزوجها (ولفرد) الذي كان يؤدي دورا مهما ضمن المجموعة الأخرى تقول الكاتبة :

كانت رغبة محمد الجارفة الآن تكاد أن تفسد المفاوضات لأنه بدأ في الحال يتحدث عن نيته في الزواج فكان أول ما عمله جازي أن زاد المهر من أربعين إلى ستين جندياً ثم حاول أن يستبدل عسرا بمطره الجميلة .

كانت هذه ضريبة شديدة لأمال محمد . ودعا إلى مجلس عام للعائلة لبحث الأمر واتخاذ قرار بصده . اجتمع المجلس في خيمتنا برئاسة (ولفرد) وفي جانب جلس محمد مع ناصر كرئيس للعائلة وعلى الجانب الآخر جلس جازي وسعد ممثلين للعروس ، بينما ركع بينهما على ركبتيه بتواضع رجل صغير متجدد الوجه ولم يكن عضوا في العائلة ، ولكنه كما فهمنا بعد ذلك كان وسيطا محترفا . كان محمد في اضطراب تام وشاحبا جدا وتولى (ولفرد) تصريف قضيبته عنه . وسوف تكون قصة طويلة لو ذكرت كل شيء عن النزاع الذي كان أحيانا يحد بحرارة إلى الحد الذي بدت المفاوضات على حافة الفشل وأدعى جازي أنه من المستحيل أن يزوج ابنته الصغرى في حين تقل الكبرى غير متزوجة حقا إن (حامو)



سعود المطيري

مخطوبة ولا إشكال بشأنها ولكن عسرا ولو إنها مخطوبة كانت حرة حقا (.....) بن سرزوقة المرجوج الرأس الذي خطبت له لم يكن الزوج الجدير بها إنه أبله وعسرا لن تتزوجه

عبر وجود ما قبل الحدود ومن خلال الدولة السعودية في أطوارها الثلاثة

العفيصان يوثق جهود أسرته في خدمة الدين والوطن تحت المظلة السعودية

كتب - محرز الوراق

يقول حمود العفيصان رئيس مركز القاعية بمحافظة الدوامي في مقدمة كتابه: وجود ما قبل الحدود (رصد تاريخي لمسيرة آل عفيصان في الخليج العربي) والذي صدر مؤخرًا في أكثر من مائتي صفحة: ولأن شهادتي مجروحة في حق آل عفيصان، فقد أثرت أن أعول في دراستي تلك على النقولات التاريخية الموثقة الثابتة حتى لا يخالف القارئ الكريم شك أنني أحابي أجدادي وإن كان واقع الأمر أنني لم أوفهم حقهم. هذا ما بذله حمود العفيصان في عمله عن أسرته والذي يتضمن جهود هذه الأسرة تحت مظلة الحكم السعودي منذ أيا الدولة السعودية وحتى عصرنا هذا.

كتاب العفيصان تكون سبعة فصول رئيسية، وملاحق للوثائق والتكشافات.

فالفصل الأول كان تاصيلًا ومقدمة مهمة لما بعده حيث جاء بعنوان آل عفيصان وقسمه المؤلف إلى ثلاثة أقسام.

الأول: عن نسب الأسرة وموطنها.

والثاني: عن أقوال المؤرخين ومنها شهادة العلامة الشيخ عبدالله بن خميس والشيخ عبد الطيف آل الشيخ والدكتور عبدالرحمن الحصين والمؤرخ

أمين الريحاني وغيرها من الشهادات.

القسم الثالث: فهو عن البلدان التي اسند إلى آل عفيصان إمارتها منذ قيام الدولة السعودية وحتى العهد السعودي الثالث ومن تلك البلدان: الأحساء وقطر والبحرين والبريمي والمدينة المنورة وعنزة والخرج وادي الدواسر والإفلاج وعسير.

وأما الفصل الثاني جاء بعنوان آل عفيصان في الأحساء، وتحدث فيه عن دور آل عفيصان في الأحساء، وقسم هذا الفصل إلى خمسة أقسام استعرض في الأول: دور سليمان بن عفيصان لبطش سيطرة الدولة السعودية على الأحساء.

وفي القسم الثاني: تحدث عن أول أمير للأحساء من آل عفيصان وهو إبراهيم بن عفيصان واستعرض حملاته على المنطقة وقمعه لبعض الثورات ثم دوره في صد الهجمات العراقية على الأحساء عام 1213هـ وتحدث عن قصره المشهور في الأحساء وغيرها من الأحداث.

وأما القسم الثالث من هذا فنحدث عن دور أمير الأحساء الثاني من آل عفيصان فهد بن سليمان بن عفيصان وجهوده في المنطقة.

والقسم الرابع: فعن عمر بن



حمود العفيصان

محمد بن عفيصان أمير الأحساء الثالث من آل عفيصان وجهوده في الأحساء.

والقسم الخامس: فعن أمير الأحساء الرابع من آل عفيصان فهد بن عبدالله بن سليمان بن عفيصان.

وأما الفصل الثالث فقد كان للحديث عن آل عفيصان في قطر، وتحدث حمود العفيصان عن دور آل عفيصان تاريخ آل عفيصان في قطر من خلال الكتب والوثائق بدأ بالقلد سليمان بن عفيصان ونجده سليمان وأدوارهما الكبيرة في خدمة القيادة السعودية في حين جاء الفصل الرابع من ذا العمل موضحا وجود آل عفيصان في

البحرين واستعرض فيه مد نفوذ الدولة السعودية الأولى على البحرين، وذلك بواسطة أمير الأحساء إبراهيم بن عفيصان، وأيضا عن إمارة فهد بن سليمان بن عفيصان للبحرين من قبل الدولة السعودية. كما تضمن هذا الفصل حديثا عن لجوء آل عفيصان إلى البحرين.

وأما الفصل الخامس فقد خصه المؤلف عن آل عفيصان في عمان ومن تلك الأحداث التي استعرضها إمارة إبراهيم بن عفيصان للبريمي وقصر الصبارة وجزر ابن عفيصان، وأيضا جهود عمر بن عفيصان في جهات.

وفي الفصل السادس تحدث المؤلف عن آل عفيصان في الكويت وفيه الحديث عن آل عفيصان في حماية آل صباح.

وأخير جاء الفصل السابع بعنوان آل عفيصان في جنوب العراق، وتضمن حديثا عن الحملات الدعوية والعسكرية التي شارك بها آل عفيصان إلى جنوب العراق مثل السماوة والبصرة.

الأعمل من إصدار دار المأمون للثقافة بدمشق، وتضمن في آخره أكثر من عشر وثائق مع كشافات تفصيلية لما ورد بالكتاب من الأعلام والحوادث والمواقع.

الجامعة العربية توثق مسيرة ٦٣ عاماً

القاهرة: أشرف الفقي

وتنوعها إلى أن اكتملت بشكلها الحالي. ورصد جانباً من مشاورات الوحدة العربية التي خلصت إلى توقيع "بروتوكول الإسكندرية" من قبل مصر وشرق الأردن وسوريا والعراق ولبنان عام ١٩٤٤، والتي مهدت لميثاق الجامعة الصادر في الثاني والعشرين من مارس ١٩٤٥ والموقع عليه من قبل خمس دول عربية هي مصر وشرق الأردن وسوريا والعراق ولبنان، وانضمام السعودية واليمن بعد ذلك بتوقيعها على الميثاق في الخامس من مايو ١٩٤٥.

وأشار الكتاب إلى محطة مهمة في تاريخ الجامعة باعتراف الأمم المتحدة بها في أول نوفمبر من عام ١٩٥٠ وهو الاتفاق الذي مهد للجامعة التوقيع على عدد من الاتفاقيات مع منظمة العمل الدولية ومنظمة الصحة العالمية والمنظمات والهيئات الإقليمية والدولية الأخرى.

أصدرت الجامعة العربية كتاباً يوثق مسيرتها منذ نشأتها في العام ١٩٤٥ إلى العام الماضي. وجاء الكتاب في ٧٣ صفحة تناولت أبرز المحطات في تاريخ الجامعة العربية بالنسبة للعمل العربي المشترك، والعلاقات العربية. وأسهب الكتاب في التطرق إلى دور الجامعة العربية في توحيد الموقف العربي خصوصاً بالنسبة للعدوان الإسرائيلي على فلسطين ولبنان، ورصد الاجتماعات الاستثنائية التي عقدها منذ انتفاضة الأقصى في عام ٢٠٠٠، كما تناول دور الجامعة في المصالحة اللبنانية والعراقية.

وركز الكتاب على عدد من الوقائع البارزة في تاريخ جامعة الدول العربية بدءاً بفكرة إنشائها ومروراً بمرحلة بناء المؤسسة، ثم توسع أنشطتها

وثائق ينبع والصفراء

المؤلف: فايز البدراني

دراسة ترصد التجمعات السكانية في ينبع



تستفيد منها المؤسسات التعليمية الثقافية لرصد مختلف الجوانب الحياتية في المملكة الضوء على إعلام وأئمة المساجد في تلك القرى والأرياف وكذلك شيوخ وأعيان القبائل والقرى إضافة للهجات المحلية السائدة في تلك الحقب التاريخية وكذلك المراحل التي مرت بها، حيث تتميز الوثائق المحلية بأنها كتبت بلغة محلية طبقاً لقوله، ولم يغفل البدراني في دراسته تقديم عدد واسع من الوثائق التي تعتبر من أدق المصادر وأكثرها حيادية -بحسب وصفه- بمعرفة تاريخ الأسر وأنسائها وكذلك دراسة الكتابة والمراحل التي مرت بها ومعرفة أعلام كتبة الوثائق. ويتناول البحث الذي يتضح عبر المعلومات والكشافات التي ضمها مدى الجهد الواسع والمبدول في تحقيقه، الحياة السياسية والأوضاع الأمنية السائدة حينها، كذلك العملات النقدية التي تعد أحد المظاهر الاقتصادية والتي من بينها الدينار والديوانى والريال والريال الفرنسي والفلس وما يسمى بـ«أحمر شريقي» وال«دائق» وغيرها. وتتبع وثائق البحث كذلك الأمور المتعلقة بالبيع والشراء والإيجارات والعقود والمخالفات، كما توفر الدراسة كذلك فرصة للباحثين للوقوف على القضاء العرفي والقوانين القبلية السائدة، حيث تسلط الضوء على القوانين القبلية التي تنظم كثيراً من شؤون الحياة في تلك المناطق.

ويتحدث البدراني في الجزء الأول من دراسته عن عدد من المشكلات التي عادة ما تواجه الباحث في التعامل مع تلك الوثائق والتي من بينها صعوبة قراءة وتسجيل نصوص الوثائق بسبب تلف بعض الوثائق أو سقوط أجزاء منها وكذلك بسبب اختلاف لهجات كتاب الوثائق وتفاوت مستوى الخطوط حيث تتميز الوثائق الأهلية عموماً -كما قال- ب«براءة الخط وضعف اللغة لندرة الكتاب في الأرياف وبين أبناء القبائل، وتقضي الجهل خلال العصور السابقة للحكم السعودي. ويشير فايز البدراني كذلك إلى ضعف اللغة العربية واستعمال اللهجات العامية المحلية والذي يعد من أهم سمات ومظاهر الوثائق المحلية عموماً في فترة الجهل التي كانت تعم الجزيرة العربية في القرون المتأخرة التي سبقت العهد السعودي.

خالد الطويل

يرصد الباحث فايز بن موسى البدراني عبر بحثه الجديد عن وثائق ينبع ووادي الصفراء ونواحيهما عبر أكثر من ٢٥٠ وثيقة قديمة تغطي الفترة من ١٠٠٠ إلى ١٢٠٠هـ -عدداً من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية وكذلك الحياة الفكرية والدينية والمذاهب الفقهية السائدة في المناطق الريفية بمنطقة الحجاز، وذلك من خلال الإشارات الضمنية الواردة في المكاتبات القضائية والفتاوى الشرعية حيث تكشف تلك الوثائق التي تدرج لأول مرة عن «دار البدراني للنشر» أيضاً عن المستوى التعليمي العام في المنطقة. ويؤكد البدراني في ٥٨٦ صفحة أن كل الذين كتبوا عن المدينة المنورة ومصادرها التاريخية في السابق لم يتعرضوا لموضوع الوثائق التاريخية، وإنما اعتمدوا - حسب رأيه- على المخطوطات التاريخية للمؤرخين والرحالة الذين زاروا المدينة المنورة خلال تاريخها الطويل، مشيراً في بحثه ضمن سلسلة دراسات وبحوث تاريخية عن منطقة المدينة المنورة والتي سبق أن صدر منها ثلاثة أجزاء تتعلق بوثائق منطقة وادي الفرع بالمدينة، إلى أنه بالرغم من أن بحثه عن تلك المناطق كان مقصوراً على المدينة المنورة وما يتبعها من المدن والقرى والأودية، فإن الكم الهائل من الوثائق التي تم جمعها جعل من الضروري تقسيم البحث إلى مناطق حسب الأودية والتجمعات السكانية مثل وادي الفرع ووادي الصفراء ووادي حجر وخيبر ووادي الحمض وغيرها. ويركز البدراني في بحثه الذي استغرق جمع مادته الوثائقية -بحسب قوله- عشرين عاماً على المناطق الريفية البعيدة وليس على المدن والحواضر كالمدينة المنورة نفسها أو مدينة ينبع أو العلا وما شابهها وذلك لاعتقاد الباحث أن المناطق البدوية والريفية هي التي يجب أن تحظى بالأولوية في مشروع كهذا لبعدها عن وسائل التوثيق والحفظ الحديثة وكذلك لندرة ما كتب عنها في المصادر التاريخية بسبب بعدها عن مركز السلطة والتحصن الذي يحظى بنصيب وافر من التوثيق والتدوين، إضافة إلى احتمال تعرض ما بقي من وثائقها لخطر الضياع والتلف لعدم توفر الوعي اللازم لدى أصحابها بأهميتها التاريخية.

كما يسلط البدراني في دراسته التي فتحت وثائقها المجال أمام الباحثين لإجراء دراسات اجتماعية واقتصادية أكثر تخصصاً وعمقا والتي ينتظر أن

يتناول البحث الأمور المتعلقة

بالبيع والشراء والإيجارات والعقود

والمخالفات، و القضاء العرفي

والقوانين القبلية السائدة التي

تنظم كثيرا من شؤون الحياة في

تلك المناطق.

سيرة ومسيرة وكفاح بطل



صدر مؤخراً لمجموعة من الباحثين كتاب "الأمير محمد بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود: سيرة ومسيرة وكفاح بطل" وقدم الكتاب الأمير بندر بن محمد بن عبدالرحمن آل سعود، وشمل الكتاب حديثاً عن نسبه وميلاده ونشأته، وصفحات من حياته وأبرز الأحداث التي عاشها، كما ضم الكتب فصل عن أسرته وذريته، وسجاياه وخصاله، والمعارك التي خاضها حتى توحيد المملكة.

بمناسبة إهداء سموه كتاب الحضارة العربية الإسلامية عبر التاريخ

الأمير نايف: مؤسسة التراث قدمت الصورة الحقيقية للمملكة العربية السعودية



الأمير سلطان بن سلمان



الأمير نايف بن عبد العزيز

أشاد صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز، النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية، بكتاب الحضارة العربية والإسلامية عبر التاريخ، الذي أصدرته مؤسسة التراث مؤخراً. وفي برقية بعث بها سموه إلى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز رئيس مؤسسة التراث، ثمن سمو النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية جهود المؤسسة وإسهاماته الفاعلة في التوثيق العلمي لإنجازات الحضارة الإسلامية والعربية عبر التاريخ، وتقديم الصورة الحقيقية للمملكة العربية السعودية في رعايتها للتراث الأدبي والفكري بالجزيرة العربية، كما شكر سموه العاملين بالمؤسسة متمنياً للجميع دوام التوفيق. وقال سمو الأمير نايف في برقيته: "تلقينا خطاب سموكم المرفق به نسخة من كتاب "الحضارة العربية والإسلامية عبر التاريخ" الذي قامت بإصداره مؤسسة التراث.

نشكر لسموكم والعاملين في هذه المؤسسة التي أسهمت في التوثيق العلمي لإنجازات الحضارة الإسلامية والعربية عبر التاريخ، وقدمت الصورة الحقيقية للمملكة العربية السعودية في رعايتها للتراث الأدبي والفكري بالجزيرة العربية، متمنين لسموكم والعاملين بها دوام التوفيق".

وقد عبر سمو رئيس مؤسسة التراث عن شكره وامتنانه لصاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز على كلماته المشجعة، التي تعد وساماً على صدور العاملين في المؤسسة، مما يمثل دافعاً لبذل المزيد من الجهد، خدمة للتراث، وإبرازاً للمكونات الحضارية للمملكة، وتعريفاً بحضارتنا العربية الإسلامية وإسهاماتها الرائدة في مسيرة الحضارة الإنسانية.

مبارك بن لندن.. يعدد مظاهر الحشمة والحياء عند العرب



مبارك بن لندن يسار الصورة

صعباً. حتى إذا ابتعدنا مسافة قليلة كان الآخرون يشكون ويأتون حالاً ليسمعوا حديثنا ويشتركونا فيه. وكل كلمة قلتها كانت تسمع وكل حركة أقوم بها كانت ترأف.

قبل هذا كان قد قال بأنني عقب الغداء كنت أفرش بساطي من جلد الغنم حالاً. وبعد أن اضع خنجري وحزام الذخيرة تحت الأقباس التي كنت استعملتها كمخدة كنت اتصدد تحت ثلاث أعطية وبنديقتي بجانبني. وكنت حريصاً على أن أتصرف مثل الاعراب كي يقبلوني كواحد منهم. وكان علي أن أجلس مثلهم وقد وجدت ذلك مرهقاً جداً لأن عضلاتي لم تكن معتادة على هذا الوضع. وكنت أفرح عند ما يأتي الليل فأتمدد وأرتاح. كنت أجلس على الأرض من قبل على طريقي الخاصة. أما اليوم بعد النزول من الجمل في أعقاب مسير طويل، كان علي أن أجلس رسمياً كما يفعل الاعراب. وقد مر وقت طويل قبل أن أعناد على هذه الجلسة

وقد مشيت حافياً مثلهم في سبيل ذلك وكان هذا عذاباً في بادئ الأمر. ولم يطل بي الوقت حتى اخشوشنت قدمي. ومع ذلك بعد مرور خمس سنوات ظلتا ناعمتين بالنسبة لأقدامهم.

في آخر حديثه في يوميته تلك قال بأنني قضيت ثلاثة أشهر قبل أن أعود إلى صلاة،



سعود المطيري

جداً تعرية أجسادهم. كان رفاقي يلبسون دائماً الأقمشة التي تغطي وسطهم حتى حين اغتسلناهم في الأبار. وقد لاقيت صعوبة في وضع الغطاء بلياقة لدى الجلوس على الأرض. يقول البدو لكل شخص تظهر أعضاؤه (انك) في نجد يقولون (في خشمك عود) حتى يخفيه وقد قيل لي مرة أو مرتين قبل أن أتعلم أن أكون أكثر حرصاً ففي المرة الأولى مسحت أنفي معتقداً أن هناك نقطة على مقدمته لأن الطقس كان شديد البرودة.

وفي البداية وجدت العيش مع البدو من الأمور الشاقة علي جداً. وخلال السنوات التي قضيتها معهم كنت دائماً أجد الإرهاق العقلي أكثر من الإرهاق الجسدي. كان صعباً علي أن أكيف نفسي على طبيعة معيشتهم. كنت معتاداً على العزلة. وهذا لم أحظ بشئ منها. إذا اردت أن أكلم أحداً على أفراد كنت أجد ذلك

■ الرحالة الإنجليزي ولفريد ثيسغر الذي لقبه العرب (مبارك بن لندن) جاء في عبوره الثاني للربع الخالي قاطعاً آياه من الجنوب إلى الشمال في الأربعينات الميلادية من القرن الماضي وسجل أثناء رحلته العديد من المشاهد المثيرة المختلفة. وفي هذا الجزء من رحلته يسجل أعجابه بمظاهر (الحياء والحشمة) اللتين يتميز بهما العرب دون سواهما واللتين قال عنهما:

يندر أن يخطر في بال البدو أن هناك عادات أخرى غير تلك التي اعتادوا عليها، وعندما جاءوا ليأخذوني من مخيم القوى الجوية الملكية في صلاة راوا رجلاً يبول وهو واقف وفي اليوم التالي سأولني إذا كان الرجل مصاباً بعاهة جسدية تمنعه من القرفصة مثلهم.

كنت أمتشي إلى مسافة بعيدة وأقرفص مثلهم واضعاً عيائتي فوق رأسي على شكل خيمة. إلا عند ما نكون قرب بئر عندئذ كنا نستعمل الرمل لفرك أيدينا وننظيف أنفسنا بعد الانتهاء. إن البدو يحرصون دائماً على الأيولوا قرب ممر في الصحاري الخالية من الممرات. كان الإعراب يتخلون وراهما في هذه الحال فيبتعدون غريزياً عن الممر الذي مشينا عليه قبل ذلك بقليل. والبدو كمسعين محتشمون كثيراً ويتجنبون

البدو بأنفسهم أكثر بكثير من حساسية (الأفندية) التي تجرح بسهولة. وقد بدأت أرى صحراء كما يراها البدو. وأحكم على الناس كما يفعلون. لقد جئت هنا باحثاً عن شيء أكثر من الجراد، وقد وجدت الحياة التي افتشت عنها..

رمال العرب

وقد كانت هذه أشهراً مضنية من السفر المتواصل تعلمت خلالها أن أعجب برفاقي وأقدر مهارتهم، وقد وجدت سريعاً أن التالف مع هؤلاء أسهل بكثير من التالف مع الاعراب المتقدمين الذين يتبنون بعض عاداتنا بعد التخلي عن عاداتهم وتقاليدهم، كنت أفضل اعتداد

بافقيه يروي ذاكرة الرواق وحلم المطبعة في مكة

شخصية كونيّة هيأتها مكة لكي تغدو بيئة ممتازة للأعراق والثقافات

قراءة

جدّة: الوطن

بحسب بافقيه- "تقدّم مثلاً تاريخياً ساطعاً على التّنوع والتعدّد وقبول المختلف، وما أحوّنا إلى التجربة المكّية فهي ثريّة جداً. يقول بافقيه الذي يرأس تحرير مجلة الإعلام والاتصال إلى جانب إدارته الجريدة الرسمية (أم القرى) لـ"الوطن": الكتاب يطمح إلى تقديم قراءة ثقافية تفيد من جملة مناهج أساسها قراءة تاريخ الأثكار وتحولها من حقبة إلى أخرى، وما أرمي إليه هو أنّ مكة المكّمة تكوّنت تاريخياً على بذرة التّنوع، منذ اللحظة الإبراهيمية، حتى ليبدو ذلك خصيصة ثابتة في أصل نشأتها. ويتابع متناولاً الأبعاد التي سعى لمقاربتها في الكتاب: توخّيت في هذا الكتاب إعادة قراءة لحقبة تاريخية حكم عليها أديب الزميل الأوّل في الحجاز بأنها لم تشهد نشاطاً ثقافياً قوياً، واستطاعت تلك

قراءتنا لحقبة ما قبل الرّواد منذ سنوات والكاتب الناقد حسين بافقيه يقف متأملاً شخصية مكّة المكّمة كما وردت في القرآن الكريم. بهذه الطريقة من التفكير يبرر بافقيه إصداره أحدث كتبه (ذاكرة الرواق وحلم المطبعة.. أصول الثقافة الحديثة في مكة المكّمة "١٦٨٩-١٩٦٤ م")، منطلقاً مما يسميه تلك الشخصية الكونيّة التي هيأتها (مكة المكّمة) لكي تغدو بيئة ممتازة للأعراق والثقافات، فإلى حرمها الأمن (جُنبى ثمرات كل شيء)، وألقى ذلك بآثره على المكان والإنسان، فبدت مكة المكّمة خلاصة عجيبه للدين والدنيا معاً، والذي يظهر أنّ الأصل الأصيل في هذه المدينة تلاؤمها مع الآخر، سواء أكان ثقافة أو بشرًا. الكتاب الصادر

**إعادة قراءة لحقبة تاريخية حكم عليها
أديب الرّعين الأوّل في الحجاز بأنها لم
تشهد نشاطاً ثقافياً قوياً**

الأحكام أنّ تكوّن "عمى ثقافياً" أثر في طريقة قراءتنا لحقبة ما قبل الرّواد، ويعكس أطروحتهم تلك كانت مكة المكّمة مركزاً ثقافياً ذا شأن يمدّد تأثيره إلى كل أنحاء العالم الإسلامي، ويشهد بذلك النشاط

عن دار المؤلّف في بيروت بغوص في تفاصيل الحراك الثقافي للمدينة المقدسة باعتبارها إحدى أهم مدن العالم التي صاغت حضارة وتاريخ البشرية، وهو مما دفع بافقيه لإصداره الآن لأنّ مكة المكّمة -

وقراءة لسيكولوجية
المدنية، إذ يرى أنه
اعتنى بالشخصية
الثقافية لمكة المكرمة،
وبالأخص في القرون
الثلاثة الأخيرة.

ويضيف موضحاً:
مكة لا تنفك في تاريخها
الطويل عن المعنى
الديني، وأحسب أن
النخب العالمية وأهل القلم
فيها يصدرون صدوراً
طبيعياً عن هذا المعنى
الديني، ولكن عيني كانت
تجوب في أحوال الثقافة فيها،
وحول ماهية السياق الذي
يندرج فيه هذا الطرح ضمن
مشروع بافقيه الكتابي، يقول
: الكتاب يعنى بحركة الثقافة
وهي تلك الثقافة التي يتداخل
فيها الديني والديني معاً.

تختلف درجة الميل إلى أحد هذين
القطين، فهي في عصرها الحاضر،
وبخاصة، في إبان نشأتها الحديثة
أضحت ميداناً للأفكار الحديثة، بل
أمعن نفر من مثقفها في أطراح
الثقافة القديمة ومعاداة من ينتسب
إليها، كما حدث ذلك في كتاب "أدب
الحجاز" لمحمد سرور الصبان،
وكتاب "خواطر مصرحة" لمحمد
حسن عواد، وكلا الكتابين نشرتهما
المكتبة الحجازية بمكة المكرمة ما
بين عامي ١٢٤٤ و ١٢٤٥هـ.



الحياة
العربية في أوجها
المختلفة، ولكنها تنتظر منا حُباً
وصبراً حتى تكشف أسرارها، وهذا
ما فعلته، وأخصي بالذكر "المختصر
من كتاب نشر النور والزهر في
تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر
إلى القرن الرابع عشر" لعبد الله أبي
الخير مرداد المتوفى عام ١٢٤٣هـ.
يعترف بافقيه بأن كتابه لا
ينطوي على تحليلات جمالية

التأليف الضخم الذي امتازت
به المدينة الثقافية والعلمية
لمكة المكرمة.

ولأن جزءاً من ذاكرة
مكة الثقافية دون في
مؤلفات كتبها عدد من
الرحالة والمستشرقين،
شكلت تهميشات أولئك
دربا من دروب سلكتها
باغقيه في إصداره،
حيث يؤكد: أفدت
من كل مرجع يخدم
الرؤية التي أرمي
إليها، ودعني أذكر
أن كتب الرحالين
والمستشرقين، في
الأمم والأعاب،
مسكونة بروية
ما للشرق والمكة
المكرمة، إلا في
استثناءات، هنا
وهناك، ومن
هذه الاستثناءات
المدينة الضخمة

التي تركها المستشرق الهولندي
سنيك مرحورتيه عن حركة المجتمع
والثقافة في مكة المكرمة في أواخر
القرن الثالث عشر الهجري، بيد أن
هناك كتباً أخرى كانت معينة لي في
كشف التاريخ الثقافي، من أبرزها
كتب التراجم المكية التي تنطوي
على مادة ثرية من المعلومات، وكتب
الفهارس والمشيخات والإنبات
والإجازات، فتلك الكتب، التي نصحها
عادة بأنها تقليدية، تكشف طبيعة

افتداء تراثنا الشعبي في كتب الرحالة الغربيين.

فوردر جاء يحمل رسالة تبشيرية فطرده قرية (إثري) ٢-١



صورة الرحالة فوردر بإثري العربي

والناس ومعهم كتب للبيع، قال إذا كنت تقدر حياتك فعليك مغادرة هذه البلاد بأسرع فرصة تستطيع وإلا فنتك هؤلاء الأتسار، سألته من أنت؟ قال أنا رجل من النرويج وأملك محل البقالة الوحيدة، وخرج ولم أراه بعد.

(يقع)

عن المسلمين يدرك أن هذا الكلام هو أكبر إساءة يمكن أن تلحق بأي إنسان، فالتك إذا أطلقت على رجل كلمة كذب يكون ذلك سبباً للغاية وسبباً كافياً لخلق عداوة تدوم طيلة الحياة ولكن أن تشبهه بخنزير فلن يغفر لك أحد وربما أدى ذلك إلى الموت وبعد أن أدلى هذا الرجل بحكمته على غادر المكان، عندها دخل شيخ القرية الذي سمع الكلمات الأخيرة وما تجرأت على ذكره أنني أعبد الله الذي تعبدون، عندها خاطبني الشيخ العجوز قائلاً: إذا كنت مسيحياً عليك أن تجلس بين البهائم وامتلكت لأمره وجلست بين جمل وفرسة عجوز بيضاء اللون.

لم أحس بين البهائم طويلاً إذ اقبل رجل ناديت من ملبسه أنه غريب واتجه نحوي ماذا يدع وصافحتني وأهلتني أنه لم يصافحتني أحد في حياتي يعثل هذه الحرارة قال لي من أنت ومن أين؟ جئت قلت من القدس وأنا مسيحي راهب، قال ماذا تريد، هنا قلت لمشاهدة هذه البلاد

كاستقبل للخيل وكان قدراً بشكل مقبوت، وكانت به حيول لبني صخر الذين جاءوا لفضاء بعض أعمالهم وتعين عليهم قضاء الليل هنا.

وبينما ظللت واقفاً في المدخل في انتظار دعوة لي من الجالسين لأنضم إليهم سمعتهم يختمون من أكون ومن المؤكد أنهم طفوا أني لا أعرف العربية وأخبرهم رجل يجلس بجوارني بأنني مسيحي من بيت المقدس ويجب أن يتعدوا عني وأنه زار بيت المقدس ووجد أن المسيحيين غير بروستانتين يعدون الصور والخيالات وكان هذا للأسف صحيحاً لأنك ترى ذلك في الكنائس التي ننتمي للطوائف الشرقية المسيحية، واختلف مع رجل يجلس في جانب آخر وطلوع بتقديم معلومة أنني لست مسيحياً ولكنني واحداً من اليهود وثالث ادعى أنه يعرف أكثر وتحدث في صوت مرتفع قائلاً: أنني لست مسيحياً ولا يهودياً بل ولني كالر لا يعرف الله ولا نبيه محمد عليه السلام، لم تلق هذه المعلومة الأغلبية الجالسة من الرجال ووقف رجل آخر ليقول بصراحة ووضوح وقال: هذا الرجل ليس مسيحياً ولا يهودياً ولا ملحداً ولكنه خنزير، إن كل من يعرف أي شيء



سعود المطيري

ثلاثين قدما في الطول وخمسة عشر قدما في العرض وذات مدخل واحد من الجدران وكانت غرفة الضيافة هذه كالعادة خالية من وسائل الراحة وأرضها مغطاة بالرمال الذي كان يجلس عليه ثلاثون رجلاً القرفصاء وجلس يسكب القهوة ويوزعها عليهم رجل أسود ذو عيشين حادتين ووجهه كأنه وجه شيطان كانت تستخدم الغرفة لاستخدامين، فالجزء الواقع إلى يمين الباب يستخدم للرجال والنزوار، والجزء الذي يقع إلى اليسار كان يستخدم

■ ارتشيبالد فوردر رحالة إنجليزي جاء إلى الجزيرة العربية التي نجح في الوصول إلى أطرافها الشمالية عام 1٩٠٠م في مهمة تبشيرية لنشر الديانة المسيحية في الجزيرة وكانت إحدى محطات وصوله قرية (إثري) التي لم يتقبلها أهلها وهو يحط عندهم في مجلس شيخ القرية أو كما قال وهو يصف مشاعر الرضا لدى أهل القرية مبدئياً بوصف مكان الضيافة:

إن غرفة شيخ إثري كانت قرية جدا من المدخل الرئيس لهذه القرية وظلنا ركوباً حتى وصلنا إلى باب غرفة القهوة حيث ترحلت وتم إنزال أمتعتي القليلة ودخل الشاب الصغير الذي أنسى معي للغرفة وصرخ قائلاً للجالسين لقد جئتمكم بالنعراي فاشكلوه معكم واقبلوا به ما سئتم بهذا الأسلوب أودعني الشاب لا إلى شخص بعينه بل لأي واحد منهم بينما التعرف المعمول به أن يسلم الأجنبي للشخص شخصياً، وبهذا الأسلوب لم يكن هناك شخص معين مسؤولاً عني، حملت أمتعتي إلى الداخل ووضعتها في ركن من الغرفة لم يكن هناك ترحيب بمقدمي ولم يسبق لي أحدهم مكاناً وتركوا واقفاً عند مدخل الغرفة، كانت الغرفة مكاناً كبيراً

فوردر جاء يحمل رسالة تبشيرية فطرده قرية (إثري) ٢-٢

■ ذكرنا في الحلقة السابقة كيف جاء الرحالة الإنجليزي فوردر في مهمة تبشيرية (كراهب) لنشر الديانة المسيحية في الجزيرة العربية إلا أنه كتب امره ولم يسمح له بالبقاء بل هدد بالقتل وكان كلما حل في مدينة أو قرية نفى منها فوراً حتى عاد من حيث أتى وفي هذه الحلقة يستكمل الرحالة حديثه السابق وما كان قد واجهه في قرية اثري من تصدي رحالها حيث يقول:



سعود المطيري

الرجال في الركن القصي من الغرفة. لقد سمعتهم يناقشون مع الشيخ خطماً للتلخيص مني وعرض أحدهم قطع عتقي بينما أغط في نوم عميق. ولكن الشيخ العجوز قال: لن أسمح بإزالة دم مسيحي في بيتي وفي قرأتي. والترح آخر لأنني أضع السم في طعامي وبهذا يتم تحاشي قتلي لأن ساموت أثناء نومي. ويتم دفني وإذا سأل أحد أو حكومتي عني يمكنهم أن يروا لي قبراً. وحتى إذا اضطفروا إلى فحص جثمانتي فلن يكون هناك ما يدل بسهولة على قتلي. اعترض الشيخ على الاقتراح الأخير. واقترح أن اطرد إلى الصحراء حيث الاحتمال أن أموت جوعاً أو عطشاً وأخيراً استقر الرأي أن يعلق امرتي حتى الغد. وقال الشيخ العجوز: خوفاً من أن

يحدث ضرر لبياتنا لوجود هذا المسيحي بينها أرى أن ننام في الحدائق تحت أشجار النخيل. وجاءوا بالعتاء. وبعد أن أكل الجميع استدعوني للأكل. وجلست أمام الصحن المستدير الكبير، ولما كنت جائعاً بدأت أكل واستمتع بخلطة مجهولة الهوية ناقلاً إياها إلى فمي عن طريق أصابعي بدلاً عن ملعقة أو شوكة وهما غير معروفان هنا. وعندما رأيتهم يأكلون من ذات الوعاء ونفس الطعام زالت مخاوفي من أن يكون الأكل مسموماً.

ثم استدعوني لأتبع الشيخ، الذي قادني إلى الحدائق التي تقع في مكان قريب وجلست تحت شجرة نخيل كبيرة. ووطئت نفسي على أن أنام في العراء. وبعد قليل رجع إلي الشيخ. ليقول: أخشى إذا قضيت الليل تحت شجرة النخيل أن تؤثر على المحصول لهذا العام. ويصعب النخيل منك نحن فيمثل المحصول. ويصعب معي، وانطلق إلى الأمام وتبعته، وكان الليل قد أرخى سدوله وأوشك أن يظلم. وأشار الشيخ إلى خيمة معزولة تقع تحت فلال جدران متهاكلة وقال الشيخ: ادخل هنا وأبقِ مكانك. وفتحت.

داخل الخيمة رأيت رجلاً عجوزاً يعاني من مرض عضال أشبه ما يكون بالجذام، وكان



فوردر

العجوز في حالة سيئة. كان عداثياً وأخبرني بأنه لم يعد يحتمل العيش في القرية ولذلك تم عزله حتى يحين أجله ويرتاح إلى الأبد مما يعاني وأحسست فعلاً بأن هذا هو الوقت الذي احتاج فيه إلى الشجاعة والمساعدة. ومن خلال قراءتي المستمرة حففت غيباً الأنشودة الدينية رقم ١٢١ من كتاب الأنشيد الدينية واعتمدت على الفقرة السابعة كما لم أعتمد من قبل وفي صباح الغد استيقظت مبكراً. وانتظرت ما يأتي هذا اليوم. ولم يقترب مني أحد ولم أعرّف

أين أغراضي وكل ما كان معي هو إنجيل الجيب. وكل ما قرأت كان الأنشودة الدينية التي ذكرت وقبيل الظهر رأيت عدداً من الرجال مع الشيخ العجوز الذي كان اسمه (خويجان) وكانوا يعرون أمام الخيمة وتبعتهم نون أن يلحظ ذلك احد وجلسوا أرضاً يتكلمون ولم يحسوا بأنني كنت قريباً وأسمع ما يقولون.

وخرجت من الاستماع بثلاث أشياء.

أولاً إعداد قافلة تتجه إلى الجوف في يوم الجمعة القادم وكان اليوم الأربعاء.

ثانياً الشيخ العجوز سيرأس القافلة شخصياً.

ثالثاً المجموعتان اللتان غادرتا الكاف قد تأخرتا لسبب أو لآخر وقد تقرر قيامهما مع هذه القافلة المقترحة ليوم الجمعة.

لقد شعرت بالسرور لسماح هذه الأفكار وقررت الحديث مع الشيخ ومواجهته بما سمعت. وبعد ما تحرك الرجال بعيداً تبعت خويجان وتحدثت معه قائلاً: أنت ذاهب إلى الجوف فهل تأخذني معك؟ نظرت إلي باستغراب

وقال: لن تغادر هذا المكان حياً وإذا قدر لك ذلك ووصلت الجوف ستقتل هناك بكل تأكيد إن هذه هي بلاد المسلمين ولا ينبغي لمسيحي أن يأتي إليها، أنت من أعدائنا وأعداء الله.

في النهاية وبعد دفع مبلغاً من المال غادر اثري مطروفاً ضمن قافلة تضم مائة وعشرين رجلاً وثمانين رجلاً.